ديانة الكالا

للصيدليّ القانوني الاديب عبدالله افندي ميخائيل رعد

٣ المظاهر الدينيّة والاحتفالات الطقسيّة (تابع)

قلنا بالبرهان ان الكالا ليسوا وثنيين والآن نأتي على ذكر ما عندهم من المظاهر والاحتفالات الدينيّة . فقبل كلّ شيء نقول ان الكالا لا يبنون معابد لواكا ولا لاولياله وهم ينفرون من كل رسم يمثل ما ذُكر . فمعبدهم الدنيا على سعتها وسقفهُ القبة الزرقاء وهيكله سطح الارض . اما ضحاياهم فهي ابكار المواشي وتقادمهم محاصيل الزرع والعسل واللبن كما كان يفعل في البدء الآباء الاولون . فترى الجماعة منهم عند تقديم الذبيحة ملتئمين في ظلّ شجرة ينشدون التسابيح كالتي اتينا على ذكر بعضها فيما سبق ويسألون واكا في طلباتهم خصب الارض وغزارة المطر وكثرة المواشي ونموّ الذرية ونحو ذلك ثم يرمون في الهواء الى الاقطار الاربعة شيئاً من الدقيق والسمن والعسل وغير ذلك ويذبحون الضحية فيهرقون ايضاً دمها رشّاً الى الشرق والغرب والشمال والجنوب ثم يسلخونها ويأخذون منها قطعة يضعونها على صخرة قريبة عالية او على رأس شجرة فيأتي بازٌ او عقاب فيختطفها وهم يقولون ان هذا الطير يحملها الى واكا . ثم يتكئون جميعهم على الحضيض فيأكلون ما تبقّى من التقدمة ويشربون ويرقصون وينشدون المسبّحات

ومن شهد هذه الاحتفالات خيّل لهُ انهُ في عهد الآباء الاقدمين فان مظاهر هذا الشعب الدينيّة تقرب كل القرب الى الممارسات الدينيّة وتقديم الضحايا ونحوها التي كان يقوم بها ابناء الله من آدم الى بني اسرائيل قبل بناء هيكل اورشليم . أوَما اخبرنا الكتاب الكريم ان الاوّلين كانوا يقدمون لله اثاراً واغناماً وعجولاً بين الرقص وعزف الطبول والدفوف وبقيّة ما كان عندهم من آلات الموسيقى وانهُ لم يكن لهم معبد . وانهم كانوا يبنون المذابح الوقتيّة في البرّيّة ليقدّموا عليها الذبائح ؟ تشهد على ذلك ارض كنعان وارض موآب وغيرهما التي قُدّمت فيها الضحايا الذكية المقبولة . يشهد على ذلك الجبل الذي اخذ اليه الخليل ابنهُ اسحاق ليقدمه والوادي الذي رأى

نار السماء منحدرة اليه لتلتهم ضحية ايليا مع الحطب والماء حتى حجارة المذبح ! . . .
وازيد على ما تقدَّم ان الكالا وان لم يكن لهم كتاب دوّنت فيه رُتب هذه الاحتفالات وطقوسها الّا انهم يُجرونها في كل القبائل والعشائر على تعدّدها وسعة البلاد التي تسكنها دائماً على منهج واحد . فيتناقل بالتقليد الابناء عن آبائهم كيفية الرتب ونظامها وادوار النشائد وانغامها والاقوال الحكمية وامثالها حتى السُّنن والقواعد والقوانين والعوائد البيتيَّة وما شاكل ذلك بنوع عجيب وصورة غريبة حتى قال عنهم المسيو انطوان دي ابّادي الرحالة الشهير انهم « المحافظون الافريقيون »

*

اعظم احتفال عند الاورومو واكبر طقس ديني هو ما يدعونهُ « وادادّجا » اي رتبة الاتحاد وهو اساس ابقيّة الرتب وجوهر الطقوس الثانوية . وهذا الاحتفال يكون عندهم على ثلاثة انواع : عائلي وهو ما انحصر احتفالهُ في اسرة واحدة ولو ان هذه العائلة كان لديها بعض المدعوين زيادةً عن اعضائها . ومحلّي اذا اشتركت به عشيرة الجبة كلها . وعامّ اذا ضمَّ اليه جمًّا غفيرًا من عشائر وقبائل مختلفة

اولًا : الوادادجا العائلي — اذا قام اعضاء عائلة بهذا الاحتفال دعوا اليهم اقاربهم واصدقاءهم وجيرانهم واعدّوا للرتبة جمعةً اهلية وبوزا وقهوة وخبزًا وشعيرًا محمّصاً وذرة مطبوخة ولبنًا وعسلًا وماء ودابّة للضحية . واذا ازف وقت الاحتفال — ويكون عادةً من غروب الشمس الى الصباح وقد يدوم من ثلاثة ايّام الى عشرة في الاعياد — اجتمع الناس واتكأوا داخل البيت اذا كان فصل الامطار وخارجهُ اذا كان الجوّ صافيًا وأبعدت الاولاد والشبان والصبايا غير المتزوجات ثم قام رب البيت بوظيفة محتفِل وامرأتهُ لخدمة الاحتفال وبدأ الجميع بالتسابيح والنشائد كالتي مرَّت وفيما هم يرتلون كذلك تأخذ المرأة رغيفًا من الخبز وتقدمهُ للرجل المحتفل وهذا يكسره من اربعة جوانبه على شكل صليب ثم يقطع منهُ اربعة اجزاء يرمي بها الى بعيد على الاقطار الاربعة وهي تقدمةٌ لراكا . واذ ذاك تتقدم خادمة الاحتفال باناء خشبي او حديدي او مصنوع من قرون الوحوش او من العاج — كحسب حال العائلة المحتفلة من الفقر او الغنى — من القِدر لبنًا وتناولهُ للمحتفِل فيقدمه كذلك الى راكا رشًّا نحو الاربعة الاقطار وهكذا يعمل هذا الرش بالماء والعسل والقهوة والبوزا والجعة والطبيخ والشعير

الحنّص . ثم ينتصب المحتفل والخادمة على اقدامهما فيباشر بالطلبات . وها كم ترجمة واحدة منها . اما الجمع فيبقى متكأ على الحضيض :

يقول المحتفل : يا واكا ارحمنا	فيجيبه الجمع المكوّن بصوت واحد :	نعم نعم ارحمنا
〃 يا واكا باركنا	〃	〃 نعم نعم باركنا
〃 〃 اعطنا ايامًا سعيدة	〃	〃 ايامًا سعيدة
〃 〃 اعطنا ليالي سعيدة	〃	〃 ليالي سعيدة
〃 〃 أبعد عنا الشرور	〃	〃 أبعد
〃 〃 أوحِنا في محادثاتنا	〃	〃 أوحنا
〃 〃 أنرنا في شوراتنا	〃	〃 أنرنا
〃 〃 أرجع الابن العاصي الى ابيه	〃	〃 أرجعهُ
〃 〃 أرجع الابن العقوق الى امه	〃	〃 ارجعهُ
〃 〃 اكشف للوالدين مساوي اولادهم المكتومة	〃	〃 اكشف
〃 〃 ابعد عنا عمل الاثم	〃	〃 ابعد
〃 〃 اعطِ بشرًا لسمّال الخير	〃	〃 اعطِ
〃 〃 افعمنا من خيراتك	〃	〃 افعمنا
〃 〃 ابعد العين الشريرة عن مواشينا وعملنا	〃	〃 ابعد
〃 〃 احفظ بيوتنا من الخراب	〃	〃 احفظ
〃 〃 اعطنا الخلاص	〃	〃 اعطنا الخلاص

وغير ذلك من الادعية التي يطول ذكرها

وبعد نهاية هذه الطلبات يقدمون الذبيحة على الصورة التي ألمعنا اليها فوق هذا . اما الحيوان الذي يضحونهُ فيكون عادةً كبشًا او عنزةً او عجلًا على حسب اقتدار العائلة وربما ضحّوا في الاعياد حيوانين الى العشرة في احتفال واحد . واذ تكون الضحية قدّمت يسمحون بدخول الاولاد والشبان لاخذ البركة وتكون عندهم بوضع يد المحتفل على رؤوسهم وبالنفخ عليهم وربما اخرج اللعاب مع النفس المضغوط . ثم يتكئ الجمع حول السفرة فيوزع عليهم المحتفل بمساعدة خادمة الاحتفال الاكل والشرب مباشرةً بالشيوخ الى ان ينتهي الطعام الى الغلمان فيأكلون ويشربون ويرقصون ويسبحون الى الصباح

وبهذا الاحتفال العائلي الذي يتكرّر عندهم مرات كثيرة في السنة اربع فوائد : فهو يحفظ بين هاته الاقوام الامانة في عبادة الخالق غير منثلمة . ويجعل اتحاد اعضاء

العائلة مع بعضهم غير منفصل . ويعلّم الاولاد ان يكرّموا والديهم ويحترموا الشيوخ . ويقي الاقارب والجيران والاصدقاء من الخصام ويعلمهم الالفة والمحبة

ثانياً : الراداجا الحلي — هو الاحتفال الذي يلتئم فيه اهل العشيرة كلها الّا ان المحتفل يكون هذه المرة كاهناً اذ لكل عشيرة كاهن يدعونهُ « كالو » اي المضحي او « إريباً » اي المكرّس . وعندهُ تلامذة يخدمون في الاحتفالات كلاويين وقد يدعونهم الى الراداجا العائلي ليكونوا هم المحتفلين بدل رب البيت وامرأته الّا ان ذلك نادر . ولكن وجودهم ضربة لازب في الراداجا الحليّ الذي يتم على ذات الصورة التي يتم عليها الاحتفال العائلي . فاذا ازف الوقت المضروب جاء الكاهن وذوره وباصبعه خاتم كبير من نحاس وعلى رأسهِ طارات من النحاس ودوائر من العاج على شكل الاكاليل تغطي جبهته كلّها من الحواجب الى حد شعر الناصية . وبيده سوط . وبعنقه قلائد من خرز وعاج ونحاس وحديد وغير ذلك . وبمعصميه اساور انما ذُكر . وبعضهم يزيدون الى هذه القلادة جرساً صغيراً وهم الذين قتلوا في زمانهم اسداً او اثروا عملاً ما خطيراً في بعض الحروب او الغزوات وهذه العلامة الفارقة لا تختص بالكهنة فقط بل هي شارة يحملها كل من اتى هذه الافعال الجسورة . ثم يتصدّر هذا المحتفل ذووهُ في مقدّمة علية القوم ويأخذ قبل بداية الاحتفال ان يشمخ بانفهِ ويقصّ على مسامع القوم ما يكون قد حفظهُ من الخرافات والاحاديث المستهجنة والمعجزات التي يزعم انها جرت على يدهِ ويعمل حركات وطلسمات كما كان يفعل كهنة البعل في سالف الزمان وذلك ليستدرّ عليهِ تقادم الشعب من مواشي وعسل وسمن وغير ذلك . امّا هؤلاء الكهنة فليس لهم خارج الاحتفالات الدينيّة من اهمية مدنية تُذكر في العشائر بين شيوخ الشعب اللهمّ الّا ان يكونوا من ذوي قربى عظيم كهنة الكالّا الذي يدعونهُ « أبا مودا » اي ابا الصحة . او ان يكونوا رسله . وعند تقديم الضحايا في مثل هذا الاحتفال يأخذ تلامذة الكاهن دم الذبائح وبعد ان يكونوا رشّوا منهُ على الارض الى اربعة الاقطار يضعون منهُ على جبهاتهم اولاً ثم يمسحون بهِ جباه الحاضرين ويلطخون بهِ ابواب البيوت . ثم يأخذون الجلود والامعاء ويقطعونها قطعاً رفيعة مستطيلة يطوّقون بها اعناقهم واعناق الناس وهم يعتبرونها كطلاسم تردّ عنهم العين الشريرة

ونضحهم هذا لدم الضحايا على الارض التي يعتبرونها هيكلاً عظيماً لواكا وعلى ابواب البيوت عادة قديمة يذكر الكتاب الكريم انهـا كانت مستعملة في الاعصر السالفة فانهُ تعالى امر اسرائيل وبنيهِ ان ينضحوا حجارة الهيكل بدم الذبائح . وعند ما اكلوا ذبيحة الفصح في مصر قبل خروجهم امرهم جلّ اسمهُ ان يلطخوا بالدم عتبات الابواب . وغير ذلك كثير من الشواهد . وهذا امرٌ معقول ان لحظنا ان الدم اعظم عنصر واشرفه واثمنه بين عناصر الطبيعة فهو محور المواليد الحيوانية ومقام الحياة وجوهر الشهوات والآلام . فاي شيء اذًا اثمن من الدم في الذبيحة ليقدّم الى الله ؟ . أما ان الدم على ما علمتنا اياه الكنيسة المقدسة مرخص خلاصي ينقي الانسان في الاستشهاد من كل جرائمهِ ؟ وباي شيء اشترانا مخلصنا يسوع المسيح من لعنة الشيطان لمّا ضحّى نفسهُ لابيهِ ذبيحةً الهيةً من اجلنا على خشبة العار التي اصبح شكلها بعد ذلك علامة الفخر ؟ اليس انهُ افتدانا بدمهِ الزكي الثمين ؟ . . فلا عجب اذًا اذا رأينا الشعوب من آدم الى اليوم يقدمون لله بنوع اخصّ دم الضحية التي يقربونها لعبادتهِ

واما اكلهم لحوم هذه الضحايا فاسمع ما يقولون فيهِ : « اذا اكلنا لحم الضحية التي قدم دمها وجزء من لحمها الى واكا فاننا نشعر داخلياً بولوج روح قوة غير اعتيادية وهذه الروح تحركنا وتشجعنا وتملأنا ثقةً بواكا واذ نكون قد أنعشنا سروراً تندفع حينئذٍ في الغناء والرقص » . فمن سمع هذا الكلام لاول وهلة عن غير تبصُّر لا يتمالك عن التبسّم لا بل ومن الضحك بقهقهة ايضاً على ما ينسبهُ هذا الشعب الساذج لاكل لحم الضحايا . ولكنهُ لو تأمل في هذه العادة وفكّر في مكنونها قليلاً لما وجب ان يضحك وفيها بعض الشبه بسرّ القربان الاقدس الذي يتغذى بهِ النصارى ليحيوا في نفوسهم قوّة النعمة فكذلك يزعم هؤلاء أنّ اكل الضحايا المقدّمة لواكا تحييهم وتشدّدهم

(لهُ تابع)